

القسم الثانى

المبحث السادس

صورة أفريقيا فى الإعلام المصرى (*) إشكاليات وتساؤلات

* أجريت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن - أستاذة الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة

مقدمة:

لقد شهدت العقود الأخيرة ظهور عدة تيارات وروى نقدية عن دور الإعلام والاتصال في مجتمع المعلومات إذ أصبح يشغل موقعاً مركزياً في الاستراتيجيات والسياسات التي تستهدف إعادة بناء المجتمعات فضلاً عن أدواره الحاسمة في تدويل أو عولمة الاقتصاد والثقافة من خلال الإسهام في تشكيل منظومة العلاقات الدولية سواء على المستوى الرسمي بين الحكومات والأنظمة أو المستوى الحضاري بين الثقافات المختلفة. ولعل أخطر هذه الأدوار ما يقوم به الإعلام في تشكيل أنماط معينة من السلوك الإنساني وتهميش أنماط أخرى من خلال لغة الصورة ورموزها وفي إطار هذا السياق تبرز أهمية إلقاء الضوء على الأدوار التي يقوم بها الإعلام المصري سواء في تشكيل الصورة الذهنية عن إفريقيا لدى الرأي العام أو تحقيق التواصل الثقافي ودعم التعاون الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بين النظامين الإقليميين العربي والإفريقي.

وهناك حقيقة محورية كشفت عنها وأكدها الدراسات التي أجريت عن اتجاهات الإعلام المصري ومستوى استجابته وتفاعله مع القارة الإفريقية والتحديات التي تواجه شعوبها مضافاً إليها الخبرة المتراكمة عن المشاركة في المؤتمرات ومتابعة الأنشطة الأكاديمية والإعلامية التي قامت بها منظمة الوحدة الإفريقية ومجلس التعليم الإعلامي الإفريقي. تشير هذه الحقيقة إلى أن اهتمام الإعلام المصري بالقارة الإفريقية يتوأكب صعوداً وهبوطاً مع اهتمام ومواقف القيادة السياسية الحاكمة إذ يتحدد موقع أفريقيا على أجندة هذه القيادة وصناع القرار التنفيذيين في مصر في ضوء الرؤية الاستراتيجية والتحالفات السياسية والمصالح السياسية والمصالح الاقتصادية الإقليمية والدولية - وتفصيلاً لذلك نرصد ما يلي:-

أولاً: لقد تصاعد الاهتمام الإعلامي المصري في حقبة الستينيات مصاحباً ومتوأكباً مع المد التحرري في كل أنحاء أفريقيا وعلاقات التضامن الواعي بين زعماء التحرر الوطني في هذه المرحلة والذي تجسد فيما عرف بمجموعة الدار البيضاء (عبد الناصر - نكروما - سيكوتوري - موديبوكينا) عام ١٩٦١ وقد شهدت هذه الحقبة اهتماماً إعلامياً مكثفاً بالشئون الإفريقية تمثل في الكتابات الصحفية التي شملت

التغطية الإخبارية والتحقيقات والأحاديث الصحفية والتعليقات وكتاب الأعمدة كما اهتمت الصحف المصرية آنذاك بتكوين كوادر متخصصة في الشؤون الأفريقية وبدأت في تلك الفترة الإذاعات الموجهة إلى أفريقيا في بث برامجها من القاهرة. وقد لعب الإعلام المصري دوراً تاريخياً بارزاً في مساندة حركات التحرر الأفريقية سواء من خلال الإعلام المقروء أى الكتابة عن القضايا السياسية والثقافية الأفريقية أو البرامج الإذاعية الموجهة إلى الشعوب الإفريقية.

ثانياً: شهدت حقبة السبعينيات انحساراً تزايد حتى بلغ ذروته في الثمانينيات والتسعينيات حتى بتنا لا نجد متخصصين إعلاميين في الشؤون الأفريقية في معظم الصحف المصرية كما انحصر الاهتمام في الإعلام المسموع والمرئى بالقضايا الأفريقية في التغطية الإخبارية لإحداث القارة خصوصاً ما يتعلق بالكوارث والمجاعات ومشاكل الحدود والانقلابات العسكرية وتراجعت الكتابات الجادة والتحليلات العميقة عن قضايا التنمية وسائر القضايا الثقافية والإنسانية في القارة الأفريقية وذلك باستثناء صحيفة الأهرام التي كان لها السبق في حقبة الستينيات في تخصيص قسم للشؤون الأفريقية ثم استعادت اهتمامها في التسعينيات بتعيين مراسلين دائمين لها في جنوب أفريقيا. وللأسف أغلقت مكتبها في العام الماضي دون أسباب معلنة.

ثالثاً: اقتصر تراث الاهتمام الإعلامى بأفريقيا خلال حقبتى الثمانينيات والتسعينيات على تغطية العلاقات الرسمية مثل زيارات الرؤساء والحكام الأفارقة والاتفاقيات الحكومية واجتماعات منظمة الوحدة الأفريقية وتوارت المجالات الأخرى سواء الثقافة والفن أو الإبداعات الأفريقية وقضايا البيئة وحقوق الإنسان الإفريقي عن أنظار الإعلاميين المصريين. ومما يجدر ذكره أن الأحداث الخطيرة التي شهدتها القارة خلال التسعينيات مثل انهيار الصومال ومذابح رواندا وبوروندى لم تلق العناية الإعلامية الواجبة فلم نسمع أو نقرأ عن وجود صحفيين أو إعلاميين مصريين بمواقع الأحداث التي تدخل ضمن الدائرة الإقليمية الأولى للأمن القومى المصرى.

رابعاً: يفتقد الإعلام المصرى وجود كتاب وإعلاميين مهتمين بالثقافات والحضارات الأفريقية ولذلك نادراً ما نجد أى تغطية إعلامية للأنشطة الثقافية والبيئية بالقارة رغم تنوعها وتعددتها فقد جاء الاهتمام الإعلامى بالجوانب السياسية على حساب الجوانب الثقافية تماماً.

خامساً: تشير نتائج الدراسات العديدة التى أجريت عن صورة إفريقيا فى الإعلام المصرى إلى تراجع موقع القارة وقضاياها السياسية والاقتصادية على أجندة وأولويات الإعلام المصرى فقد أوضحت هذه الدراسات ضآلة حجم الاهتمام الإعلامى سواء ما يتعلق بالتغطية الإخبارية للأحداث الأفريقية أو مواد الرأى ويلاحظ بصفة عامة غلبة الطابع السلبي على المعالجات الإعلامية للقضايا والأحداث التى تقع بالقارة وغياب التحليلات الموثقة بالمعلومات. وإجمالاً يتسم الخطاب الإعلامى المصرى عن الدول الأفريقية بالأنية والظرفية والاقتصار على الأحداث السياسية المتفجرة مثل الحروب والصراعات الأهلية والمجاعات.

وتتم التغطية الإعلامية عبر وكالات الأنباء الغربية والمحطات التليفزيونية العالمية المعروفة بتحيزاتها وعدم موضوعيتها تجاه القارة الأفريقية وشعوبها.

سادساً: كما لوحظ أن بعض الكتابات الصحفية تتسم بروح التعالى وذلك بالحديث عن ريادة الإعلام والثقافة المصرية فى القارة فضلاً عن استخدام بعض النقاد الرياضيين صفات غير لائقة تتم عن الجهل وسوء التقدير وعدم الإلمام بالتاريخ الحضارى والثقافى للقارة الأفريقية مما يثير ردود أفعال عدائية وسلبية لدى الأفارقة وفى السينما والمسلسلات التليفزيونية وفى بعض الأعمال الدرامية القليلة التى اعتمدت على الخلفية الإفريقية لوحظ غلبة الجهل وسوء الفهم والاستخفاف والتركيز على الفقر والامية لدى الشعوب الأفريقية وتجاهل التراث الثقافى والحضارى الثرى الذى تتميز به المجتمعات الأفريقية.

ولعل أخطر ما يهدد مصداقية وموضوعية الصورة التى يروجها الإعلام المصرى عن أفريقيا يكمن فى اعتماد وسائل الإعلام المصرية المقروءة والمرئية والمسموعة على وكالات الأنباء الغربية وشركات التليفزيون العالمية ويعزى ذلك إلى عدم وجود مراسلين سواء للصحف أو الفضائيات المصرية باستثناء جريدة

الأهرام التي ظلت محتفظة بمكتبها في جنوب أفريقيا ثم قررت إغلاقه في الفترة الأخيرة دون أسباب معلنة.

سابعاً: رغم عضوية مصر في بعض مؤسسات العمل الإعلامي الجماعي على مستوى القارة مثل مجلس الإعلام الأفريقي وإتحاد الإذاعات الأفريقية لوحظ ضالة المردود الثقافي والإعلامي لنشاط المكاتب الإعلامية التي تمثل الهيئة العامة للاستعلامات إذا نادراً ما كنا نجني ثمار الجهد المفترض أن تقوم به لتصحيح صورة إفريقيا لدى المواطن المصري من خلال تنظيم معارض إعلامية أو ندوات ثقافية مشتركة مع الأفارقة.

ومما يجدر ذكره أن الحزب الحاكم شدد في ورقة (مصر والعالم ٢٠٠٣) على ضرورة أن تحتل أفريقيا أولوية متقدمة في السياسة المصرية لأنها تمثل العمق الأمني والاستراتيجي خصوصاً ما يتعلق بدول حوض النيل والقرن الإفريقي وقد تميزت هذه الورقة بدقة التشخيص والتوصيف الواعي للعلاقات المصرية الأفريقية والتحديات التي تواجه هذه العلاقات في المجالات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية والثقافية. ومن أبرز التحديات التي أشارت إليها الورقة شيوع العلاقات المغلوطة والمشوهة المتبادلة على الجانبين المصري من ناحية والإفريقي من الناحية الأخرى الأمر الذي يدعو إلى إيلاء المزيد من العناية لتصحيح هذه الصورة من خلال تزويد كل من المناهج الدراسية ووسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة بجولات معلوماتية إضافية وشاملة عن القارة وحضاراتها ونضال شعوبها من أجل النهوض والتحرر.

وإذا كان هذا الاهتمام من جانب الحزب الحاكم قد رفع إيقاع التفاوض لدى المهتمين بالشئون الأفريقية إلا أن الفاصل النهائي في هذه القضية المحورية كان ولا يزال يرتفع بضرورة اقتران القول بالفعل واعنى بهذا ضرورة حشد كل الجهود على المستويين السياسي والثقافي لتحقيق التواصل بين مصر وقارتها بصورة جادة.

ولكن من المثير للدهشة أنه وفي الوقت الذي أبدت فيه القيادة السياسية للحزب الحاكم هذا الاهتمام بقضية العلاقات المصرية الأفريقية فوجئنا بأن الرئيس السابق للهيئة العامة للاستعلامات قد قرر إغلاق المكاتب الإعلامية في كل من كينيا والسنغال وتخفيض مكتب السودان وبذلك لم يبق سوى ثلاثة مكاتب إعلامية في أفريقيا تشمل

جنوب أفريقيا وأثيوبيا ونيجيريا علاوة على دول الشمال الإفريقي (تونس - الجزائر - المغرب) والتي تدخل ضمن الدائرة العربية. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصدر وزير الإعلام قراره التاريخي بإلغاء الإذاعات الموجهة إلى أفريقيا.

موقف الرأي العام:

كشفت الدراسات عن الصورة السلبية السائدة لدى الرأي العام المصري عن أفريقيا والتي نتجت عن الظروف السيئة التي تسيطر على حياة الأفارقة وتتمثل في عدم الاستقرار السياسي والعوز الاقتصادي والتدهور الأخلاقي والبؤس الإنساني ويعزى ذلك إلى أن معظم قطاعات الرأي العام المصري يستقون آراءهم وانطباعاتهم عن أفريقيا من خلال وسائل الإعلام والتي تعتمد على المصادر الغربية المعروفة بتحيزها ضد أفريقيا أما النخب المثقفة التي تتيح لها ظروفها ومواقعها الوظيفية إمكانية التعرف على الصورة الحقيقية لأفريقيا فهي أيضاً لا تهتم إلا بالإطار العام الذي يتمحور حول الأوضاع السياسية ويتجاهل الجوانب الأخرى التي لا تخلو من إيجابيات كثيرة في الثقافة والفلسفة والفن والشعر ومنظومة القيم الاجتماعية والأدب والبحث العلمي. هنا أود أن أشير إلى أن صورة مصر والمواطن المصري في الإعلام الإفريقي أفضل كثيراً من صورة أفريقيا في الإعلام المصري وذلك استناداً إلى الدور الرائد الذي قامت به مصر في مساندة حركات التحرر الأفريقية خلال الحقبة الناصرية فضلاً عن اهتمام العديد من الدول الأفريقية بالحضارة المصرية القديمة والإنجازات المعاصرة في مجال العلم والثقافة المصرية ويرنو معظم الشباب الإفريقي سواء في مناطق الانجلوفون أو الفرنكوفون إلى زيارة مصر والتعرف على منجزاتها الحضارية وشعبها المتميز والاقتراب من علمائها والتفاعل مع مفكرها ومبدعيها وتؤكد ذلك بعض الدراسات القليلة التي أجريت عن صورة مصر في الإعلام الإفريقي والتي تناولت الإعلام الفرنكفوني في الكاميرون والسنغال والإعلام الإفريقي الناطق بالإنجليزية في كينيا وزيمبابوي ونيجيريا وجنوب أفريقيا وناميبيا.

وفي النهاية نخلص إلى التأكيد على ضرورة إعداد استراتيجية مصرية تشمل السياسات والخطط والبرامج التنفيذية للتفاعل والتواصل مع الدول الأفريقية وأعلى بذلك الاهتمام بتعيين مراسلين للصحف والإعلام المرئى والمسموع وتطوير أداء

المكاتب الإعلامية والثقافية ومضاعفة إعدادها بحيث يشعر الرأى العام المصرى والإفريقى بمردود إيجابى للجهد الوظيفى الذى تقوم به هذه المكاتب وهنا نشير إلى ضرورة الاهتمام بتتقيف وتأهيل الكوادر الدبلوماسية والإعلامية والثقافية العاملة فى أفريقيا فضلاً عن أهمية تشجيع الجمعيات الأهلية التى تعمل فى مجال حقوق الإنسان والمرأة والشباب على مد جسور التواصل إلى الجمعيات المماثلة المنتشرة فى القارة وهنا لا يمكن إغفال الدور الذى قامت به الجمعية الأفريقية التى قامت بدور تاريخى فذ فى مساندة استقلال معظم الدول الافريقية ولا تزال تواصل دورها التنويرى فى نشر الوعي بالقضايا الإفريقية.